# عبقريات أزهرية مدفونة

للأستاذ دريني خشبة

مئات من الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر في كلياته الثلاث ليحصلوا بها على إجازاته النهائية - على طريقة الجامعات الحديثة - ملقاة في ركن سحيق من أركان الإهمال ، وقلة العرفان في مكتبات الكليات ، لا ينتفع بها أحد ، ولا يلتفت إليها أحد ، ولا يفكر أحد في أن ينفع بها الثقافة الإسلامية في الأمم العربية عامة ، والنهضة الفكرية الحديثة في مصر الإسلامية بوجه خاص . والعجيب ، بل أعجب العجب ، ألا يلتفت ولاة الأمور في الأزهر إلى أهمية هذه الرسائل الثمينة في تدعيم شخصية جامعتهم الكبرى ، وإثبات وجودها ، والمساهمة بها في حياة المسلمين الفكرية ، ومحاربة الأفكار الجاهلة التي أخذت تغزو أفهام الناس عن أقدم جامعات الشرق ، بل أقدم جامعات العالم وأعظمها

أيكون من حق النواب أن يصل صوتهم إلى قلب وزير المعارف قبل صوتي ؟

هذا مستحيل ، فأنا من أمناء وزير المعارف ، وأنا سفيره إلى جميع البلاد المصرية ، فمن أوضح الواضحات أن أكون سفيره في البلاد التي تجاور بلدي ، وأنا أعرفها كما أعرف نفسي

لوزير المعارف أن يتفضل فيطالب التقرير الذي قدمته لمراقبة التعليم الابتدائي ومعه تقرير الرقيب ، وأي رقيب ؟ هو رجل من أكابر المربين دعاه مراقب التعليم الابتدائي إلى مصاحبتي لمعاينة مدرسة سنتريس ، لئلا يطغى على حبي لبلدي فأقول ان اسمها سنتريس !

لمعالي وزير المعارف أن يقرأ هذين التقريرين ثم يفكر فيما يصنع ، فأنا واثق بأنه سيكرم تلك البلاد العشرين ، ونداءي لمعاليه هو نداء تلك البلاد العشرين

زكي مبارك

مئات من هذه الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر بإرشاد أساتذته ، وأساتذة الجامعة المصرية ، وأساتذة النهضة الفكرية في مصر ، مهملة مُغفلة لا ينتفع بها أحد ، لأن النظام الذي يرين على الأزهر الشريف يقضي على تلك الجهود الغالية بالدفن ، كما يقضي على الآمال المنوطة بتلك الجهود بالضياع

لست أدري ما نصيب الأزهر في مئات الكتب التي غمرت السوق الفكرية في السنوات الخمس الأخيرة في مصر ؟ لا شيء ؟! فهل معنى هذا أن أبناء الأزهر أقل نشاطاً من سائر أبنائنا المتعلمين ؟ كلا ... فالحق الذي لا مرية فيه هو أنهم في المقدمة من حيث الإنتاج الذهني الرفيع كماً وكيفاً ، لكنهم فقراء ، ومتوسط الحال منهم لا يستطيع أن يجازف بما يدخره من قروش في سبيل الثناء العلمي ولألاء الشهرة ، يطبع بعض ما أنتجت قريحته من ثمار ما ألف وما يستطيع أن يؤلف ... ولو أن هذه الميزانية الضخمة التي تربط للأزهر كل عام انسمت قليلاً لطبع شيء من هذه الرسائل النادرة التي أردعها شباب الأزهر جهوده بل أرواحه وآماله لعاد هذا العمل على الأزهر نفسه بالسمعة الطيبة ، وعلى الأمة بالنفع الجزيل ، وعلى نهضتنا الثقافية بالخير العميم ، ثم هو بعد ذلك كله عمل يلفت العالم الإسلامي إلى طابع الأزهر الجديد ، وإلى الروح الذي يحدوه إلى السمو وإلى الكمال

وبعد ، فما هذه الرسائل التي نشيد بها تلك الإشادة ، والتي ندعو جميع الأدباء إلى التفضل بالذهاب إلى كليات الأزهر للاطلاع عليها حيث حُبست عن الخير العام في أركان المكتبات تشبه المتاحف ، أو أقبية التاحف :.. حتى لتوشك أن تسمع من صفحاتها أنيناً وحسرات شاكية من إهمال أولي الأمر لها على هذا الشكل المزري

كتب بعض هذه الرسائل خريجو قسم التخصص على النظام القديم في الأزهر ، ثم كتب معظمها خريجو هذا القسم على النظام الحديث ، وقد بذل كل من أبناء النظامين جهوداً شريفة في الإحاطة بالموضوعات التي اختاروها . والذي يثير العجب

فى الخطة التى انتهجها كل من الفريقين فى وضع رسائلهما هو تجافيهم عن روح الأزهر القديم ، ومحاولتهم فى إخلاص وصدق أن يطبعوا الرسائل بطابع البحث الجامعى العصرى الطريف . ويحسن أن نقصر الكلام الآن على رسائل كلية اللغة العربية تلك الكلية التى تنافس فى شرف وفى نبل معاهد العلم فى مصر ، كما تسير على هدى من كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وبتوجيه أساتذتها الأفاضل

لقد اهتم كبار كتابنا فى العصر الأخير بالتاريخ الإسلامى فأخذوا يتبارون فى كتابته فى سور شتى ، وأخذت كتبهم تصدر تباعاً ، وتلقف الناس تلك الكتب فرحين مستبشرين لما تجلو لهم من صفحات المجد التى كانوا يسمعون بها ولا يعرفون منها شيئاً ... ومن هذه الكتب ماطبع أكثر من مرة ، ومنها ما لم يبق من طبعاته الأولى شىء ... وقد تألفت أخيراً جماعة أخذت على عاتقها إصدار كتب شهرية عن أبطال المسلمين يتولى الكتابة عن كل منهم إما واحد من هذه الجماعة الفاضلة أو أحد الذين يقع عليهم اختيارها من أرباب الأقلام فى مصر وفى شقيقاتها من الأمم العربية ... ولقد شهدت فى مكتبة كلية اللغة العربية مجموعة كبيرة من الرسائل فى التاريخ الإسلامى تناولت رجاله بالترجمة والنقد والتحليل والتحقيق ( وتغلية ) الموسوعات التاريخية والمقابلة بين رواياتها ، ومعارضة تلك الروايات بما حققه المستشرقون ، وماوقع فيه هؤلاء من الحيف والتخبط أحياناً ... مما لا يتوفر مثله من التمحيص إلا للدارس المتقطع الذى يرى بين كل سطر من سطوره وجه سائل أو يسمع اعتراض مناقش أو حجة ممتحن . فما راقنى من هذه البحوث المركزة ، وما يحسن التمثيل به لما حوت تلك المكتبة من هذه الرسائل : بحث فى نظام ولاية العهد فى الإسلام ، ورسالة عن دخول الإسلام إلى الهند وانتشاره فيه ، وأخرى عن تاريخ الإسلام فى جزيرة صقلية ، ورابعة عن العلاقات السياسية بين الرومان والعرب ، وخامسة عن العلاقة بين العلويين والعباسيين ، ورسالة عن نشأة الدروز وعقائدهم ، وبحث جميل مستفيض عن الأحزاب السياسية فى عصر بنى أمية ، ورسالة عن دولة بنى بويه ... ومن البحوث غير الإسلامية رسالة أنشأها طالب هندى فى تاريخ سوامى ديانند مؤسس الديانة الآرية فى الهند ، وهو أول كتاب من نوعه فى اللغة العربية ، أنفق فيه صاحبه جهوداً تثير الإعجاب ... هذا ، إلى مئات من الرسائل الأخرى التى تغطى التاريخ الإسلامى كله ، وتتناول أبطاله المشهورين وغير المشهورين واحداً واحداً ، فى عرض جميل ، وتبويب جيد ، وتحقيق لم يدع مصدراً فى دور الكتب المصرية ، مخطوطاً أو مطبوعاً ، إلا تناوله واستوعب مافيه

أما الرسائل الأدبية فهى بلا شك مفخرة أبناء كلية اللغة العربية ، سواء منهم من تخصص بعد الشهادة العالمية للمهنة ـ أى لمزاولة التدريس فى المدارس وفى الأزهر ، ومدة هذا التخصص ثلاث سنوات ـ أو من تخصص منهم للمادة ـ ويتولى خريجو هذا القسم التدريس فى كلية اللغة العربية نفسها ، ومدته سبع سنوات كاملة ( ١١ ) . فمن أبدع ما يستلفت النظر من رسائل الأدب رسالة فى تاريخ القصة فى الأدب العربى ، رأيت لزاماً أن أخص صاحبه فى كلمتى هذه بالتهنئة لما استطاع أن يتناول به فى بحثه القيم أطراف هذا الموضوع المتشعب من الاستقصاء والاستيعاب ، ومنها رسالة فى الكتابة فى العصر العباسى شن فيها صاحبها حرباً شعواء على كثيرين من رجال الأدب فى مصر ، وكال فيها للدكتور زكى مبارك كيلاً شديداً ، ثم رسالة طريفة عن الموشحات ـ نشأتها وصلتها بالشعر ، وهى رسالة جيدة ما كان أحوج المكتبة العربية إليها ... ثم عشرات من الرسائل عن البحترى والحطيئة والأخطل وابن زيدون والمرجى والأصمعى وغيرهم من ألمع الأسماء فى الأدب العربى ، وممن لم يتناولهم أحد فى بحوث خاصة مستقلة إلا أبناء هذه الكلية الجنود المجهولون ... ومن أطرف رسائل الأدب رسالة أنشأها صاحبها عن الأدب فى عصر المماليك ، وقد تناولت الرسالة هذه الناحية الغامضة من تاريخ الأدب المصرى فى عصر من أغمض عصوره ... أما الرسائل التى وضعها متخصصو المادة فلا تزال قليلة العدد لقلة خريجى هذا القسم ، وهى على قلتها رسائل جيدة عالية القدر شاملة الإحاطة ، رأيت منها رسالتين فى أدب الخوارج وفى أدب الشيعة ، فلا أبالغ إذا سجلت هنا أنهما من أثمن ما كتب فى هذا الموضوع فى العالم العربى .

ومن أكبر المآخذ على أزهرنا الشريف المبارك ذى الميزانية